اقتصاديات الثغور في القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد

م.د. سناء عبد الله عزيز الطائي
مركز الدراسات الإقليمية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٩/١٠/٦ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٠/٤/٨

ملخص البحث :

حظيت الثغور والعواصم باهتمام كبير من لدن العلماء والباحثين، نظراً لأهميتها ودورها الفاعل في أحداث التاريخ العربي الإسلامي ولأهمية الجانب الاقتصادي ارتئينا دراسته في تلك البقعة المهمة والتي كانت تمثل مسرحاً عسكرياً مهماً خلال الأربعة القرون الهجرية الأولى، الى أن سقطت مدن الثغور الواحدة تلو الأخرى بيد الروم البيزنطيين العدو التقليدي للدولة العربية الإسلامية.

ولقد رصدت لنا الدراسة التطور الحاصل في التنمية الاقتصادية للمجتمع العربي الإسلامي، وكيف كانت الثغور توفر دخلاً يفوق كثيراً النفقات وأوجه الصرف فيها.

احتوى البحث على تعريف بسيط للثغور (الشامية والجزرية والعواصم) وكذلك على أهم الموارد المالية والتي اشتملت على الخراج، الجزية، الموارد الاقتصادية (زراعة، صناعة، تجارة)، العشور، والغنائم، والصدقات.

أما أهم أوجه الصرف (النفقات) فهي، النفقات العسكرية، العطاء مع خاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات

The Economy of Thughur in the Third and Forth Centuries A.H./The Ninth and Tenth Centuries A.D.

Lecturer Dr. Sanaa´ Abdullah Aziz Al – Taee
Regional Studies Center / University of Mosul

Abstract:

Al–Thughur got a great attention by scholars and researchers for its role in the events of Islamic Arab history. Because of its economic importance, we decided to study it as it was a military theartre during the

first four centuries of Hijra until the cities of Thughur fell down one by one by the Roman who are the traditional enemy for Islamic Arab State.

The study monitored the economic developments in the Islamic Arab society and how it saved the income that exceed too much the expenditures.

The Study included a simple definition of Al -Thughur of (Al – Sham, Al – Jazeera and Awasim) and its financial resources as Land tax, tribute, economic resources (agriculture, industry and trade), collecting tithes, spoils and charities.

The important manners of spending are military costs and gifts with conclusions.

المقدمة:

إن لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، أهمية كبيرة وذلك لأن النظم الاقتصادية والاجتماعية تشكل جانبا مهما من جوانب الحضارة العربية الإسلامية ، ولان العرب المسلمين أسهموا إسهاما كبيرا في تطويرها، وان دورهم في هذا المجال لا يقل أهمية عما أحدثوه من تطور في مختلف المجالات الحضارية الأخرى ، لذلك أصبح من واجب المعنيين بكتابة التاريخ العربي الإسلامي إبراز دور العرب المسلمين الحضاري والإنساني والذي حاول عدد من الكتاب والباحثين الأجانب طمس معالمه كجزء من الحرب الحضارية التي تشن على الأمة العربية والإسلامية من قبيل تصوير الفتوحات ومراحل نشر الإسلام، على سبيل المثال ،وكأنها حرب من اجل الحصول على الغنائم والمكاسب فقط ، فتاريخنا ،والحق يقال ، حافل بكل ما يستحق الدراسة والتحليل وبكل اعتزاز وفخر سواء في المجالات السياسية والعسكرية والحربية أو بما زخر به من أمثلة رائعة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

ولقد قدم كثير من الباحثين، دراسات عديدة عن الثغور والعواصم والمعارك الفاصلة التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية ، وأفاضت فيها إفاضة كبيرة . ومع الاعتراف بالفضل الكبير لهذه الدراسات القيمة، إلا أن كثيرا منها أغفل الجوانب الاقتصادية ،والاجتماعية، والفكرية ، إذ اقتصرت الدراسات فقط على سرد وتسجيل أحداث المعارك والخوض في أسبابها ونتائجها والدروس والعبر المستخلصة منها ، لذلك كان لابد من البحث في هذا الجانب المهم والحيوي في منطقة الثغور والعواصم التي أصبحت في بعض الفترات مسرحا للصراع بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين، فاختيار المسلمين لتلك القلاع الثغرية لم يكن عشوائيا ،بل تم بعد دراسة

وتمحيص فمعظمها كان يتمتع بالغنى الاقتصادي الذي أسهم إلى حد كبير في تلبية الاحتياجات الأساسية للمقاتلين فيها .

إن دراسة التأريخ الاقتصادي لتلك البقعة المهمة ترصد لنا التطور الحاصل في بنية الحياة الاقتصادية للمجتمع العربي الإسلامي، والأسباب الكامنة فيه، فضلا عن كون هذه الدراسة متممة للدراسات التاريخية الأخرى، والتي تلتقي جميعها في إبراز معالم حضارتنا العربية الإسلامية .

وهنا يطرح سؤال مهم وهو : من أين يأتي دخل الثغور؟ وما هي أوجه الصرف التي كان ينفق عليها ؟ وهذا السؤال في أصله طرح من الباحثة علية عبد السميع الجنزوري في كتابها الموسوم :" الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى" ، إلا أنها– في اعتقادنا– لم تعطِ الإجابة الشافية للسؤال ، ومن هنا انبثقت فكرة دراستنا لاقتصاديات الثغور والعواصم، يدفعنا في ذلك هاجس علمي لتسليط الضوء على أحد المفاصل الحيوية والمهمة في تاريخنا.

اعتمدنا في دراستنا ،المنهج التاريخي القائم على البحث والتقصي، وربط الأحداث بعضها بالبعض ،ومناقشتها، وتحليلها،واستنباط النتائج منها . وهدفنا تقديم صورة واقعية، وحقيقية– قدر الإمكان– عن اقتصاديات الثغور والعواصم.. ذلك التنظيم المهم الذي أسهم به العرب المسلمين، وكونوا بحق صورة مشرقة وراقية عن حضارة وادارة الدولة العربية والإسلامية.

اشتملت الدراسة على مقدمة وتعريف بالثغور (الشامية والجزرية والعواصم) ،ثم عرض للموارد المالية والتي تشمل الخراج، والجزية والموارد الاقتصادية والمتمثلة بالزراعة والصناعة والتجارة، والعشور والغنائم ، والصدقات، ثم تم التطرق إلى النفقات ،وأوجه الصرف، والتي شملت النفقات العسكرية (الصرف على الحملات أو بناء المدن) ، والعطاء ثم انهينا البحث باستنتاجات لأهم ما توصلنا إليه .

اعتمدنا في دراستنا جملة من المصادر، والمراجع، والرسائل ،والاطاريح الجامعية والبحوث، وكلها ساعدتنا في رسم ملامح طيبة عن صورة الحياة الاقتصادية للثغور والعواصم، ومن أهم هذه المصادر كتاب:(المسالك والممالك) لأبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ، وكتاب المسالك والممالك لإبراهيم بن محمد الاصطخري (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، وكتاب (صورة الأرض) لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م). كما وأفاد البحث من كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) .

ومن الكتب التاريخية المهمة التي اعتمد عليها في البحث كتاب :(بغية الطلب في تاريخ حلب) لكمال الدين محمد بن احمد بن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) الذي حققه الأستاذ الدكتور سهيل زكار حيث قدم لنا معلومات مهمة عن الثغور والعواصم .

كما واعتمد البحث، مجموعة من المراجع المهمة التي أغنت الموضوع منها كتاب: (الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري) لفتحي عثمان، وكتاب (الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى) لعلية عبد السميع الجنزوري.

أولا: الثغور وأقسامها

أطلق العرب المسلمون على الجبهة البرية للخلافة العربية الإسلامية المتاخمة لأراضي الدولة البيزنطية من آسيا الصغرى مع (شمال بلاد الشام) تسمية الثغور . والثغور لغة : جمع، مفردها ثغر وهي كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك[١]. أما إصطلاحاً : الثغر " بالفتح ثم السكون،وراء، كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا، فانه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط "[٢] وقد قسمت منطقة الثغور من قبل البلدانيين العرب إلى أقسام هي :

أ. الثغور الشامية:

وتقع على الجهة الغربية من بلاد الشام ومن أهم مراكزها : عين زربة ، سيس او سيسة ، الهارونية ، الكنيسة السوداء، المثقب، المصيصه ، بياس ، التينات، الطوانة ، اذنة، طرسوس، البذندون ويقابلها في ارض بيزنطة من جهة البر بند القباذق ويقرب منها بند الناطلوس، ومن جهة البحر تقابلها سلوقية[٣].

وتعد الثغور الشامية ثغور أموية [٤]، إذ إن الأمويين هم الذين أعادوا بناءها والاهتمام بها[١]. ولقد حرص كل من العرب والمسلمين والروم البيزنطيين على السيطرة على المعابر والممرات

---

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، بيروت ، دار لسان العرب،١٩٨١، ١/٣٦٠.

(٢) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، بيروت، دار الكتاب العربي،د.ت،٢/٧٩

(٣) قدامة، ابو الفرج قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، بغداد ،دار الرشيد،١٩٨١، ١٨٦؛ وللمزيد عن الثغور الشامية ينظر، الطائي، سناء عبد الله عزيز: الحياة الفكرية في الثغور والعواصم حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد،دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م.

(٤) المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي: التنبيه والإشراف ، تصحيح ومراجعة: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي،١٩٢٨، ١٦٠.

المهمة ، التي أطلق عليها المؤرخون والجغرافيون تسميات منها (الدرب) أي المضيق الذي تحيطه الجبال – لوجود جبال طوروس – واستخدموا تعابير (أدرب القوم) أي دخلوا ارض العدو من بلاد الروم(٢).

ب. الثغور الجزرية:

وتقع هذه الثغور على الجبهة الشمالية والتي تحاذي الثغور الشامية وأولها ،مرعش والحدث، وزبطرة والحصون التي أقيمت بها فيما بعد والتي يطلق عليها طباري ، وحصن الحسينية ، وحصن بني المؤمن ورحوان و ويلي هذه الثغور ثغر كيسوم وحصن منصور وحصن شمشاط وملطية(٣)، ويفصل بين كل ثغر وارض بيزنطة درب وعقبة ، في حين أن ثغر ملطية هو الوحيد الخارج إلى ارض العدو ، ويشترك معه في ارض واحدة(٤).

وسميت هذه الثغور بالجزرية لان أهل الجزرية كانوا يرابطون فيها ويغزون ، منها لأنها من الجزيرة وأعمالها (٥)، ويرى المسعودي(٦)،إن الثغور الجزرية عباسية. واهم الثغور الجزرية: مرعش ، والحدث ، زبطرة ، كيسوم ، ملطية، شمشاط.

ج: العواصم :

لغة : من العصمة وعصمه عصما أي منعه ووقاه(٧)، وهو المعنى نفسه الذي جاء في قوله تعالى:" قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ "(٨).

وعاصم هنا بمعنى مانع ، وقوله تعالى أيضا : "يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " (٩)

---

(١) عن الثغور في العصر الأموي ينظر: الجاسم،"هاشم إسماعيل: الخطة العسكرية الدفاعية عن الثغور البرية والبحرية حتى نهاية العصر الأموي"، مجلة آفاق عربية ،ع٦، السنة السابعة ،١٩٨٢م،٤٢-٤٩.

(٢) ابن منظور ،لسان العرب، ٩٦١/١ .

(٣) الخراج،١٨٦-١٨٧.

(٤) الخراج ،١٨٧.

(٥) الاصطخري، إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، تحقيق:محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعة:محمد شفيق غربال ، الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،١٩٦١م،٤٧ ،

(٦) التنبيه والأشراف،١٦٠.

(٧) ابن منظور ،لسان العرب، ٧٩٨/٢.

(٨) سورة هود، الآية:٤٣.

(٩) سورة غافر، الآية :٣٣.

واصطلاحا : هي الخط الثاني للدفاع عن الثغور التي يعتصم بها المسلمون وهي التي تعصم الثغور وتمدها في أوقات النفير [١].

ومن أهم مدن العواصم : منبج ، انطاكية،تيزين ، فايا [٢].

ثانيا : الموارد المالية

حرصت الدولة على تامين مواردها المالية، وذلك لما يترتب عليها من نفقات مختلفة . ومن أهم موارد بيت المال في النظام المالي الإسلامي :

١. الخراج :

واجهت الباحثين مشكلة أساسية بشأن تحديد الاصطلاحات الخاصة في النظم المالية ووقعت خلافات ، حيث تعددت الآراء الفقهية حولها ، واحتاج الأمر إلى متابعة لمراحل التطور الفقهي والتاريخي ، فأبو يوسف [٣] الذي عاصر الخليفة الرشيد (١٧٠_١٩٣هـ /٧٨٦_٨٠٩م) لا يفرق في أحكامه بين الفيء والخراج فيقول: " فأما الفيء يا أمير المؤمنين فهو الخراج عندنا، خراج الأرض ، والله اعلم لان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم : " مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[٤] ، أي أن الخراج عنده على الأراضي التي افتتحت عنوة أو صلحا [٥].

وفيما يخص الثغور، فقد كان أبو اسحق الفزاري [٦] يكره شرى الأرض بالثغر ويقول: غلب عليه قوم في بادئ الأمر واجلوا الروم عنه ولم يقتسموه، وصار إلى غيرهم وقد دخلت في هذا الأمر شبهة العاقل حقيق بتركها [١].

---

(١) ابن خرداذبة،أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله :المسالك والممالك،تحقيق:دي خويه ،ليدن،مطبعة بريل،١٨٨٩م،٢٥٣؛ قدامه،الخراج،١٨٦.

(٢) وللمزيد عن العواصم ينظر،الطائي، الحياة الفكرية في الثغور والعواصم حتى القرن الخامس للهجرة/ الحادي الحادي عشر للميلاد.

(٣)يعقوب بن إبراهيم: الخراج،القاهرة،الطبعة الرابعة،المطبعة السلفية ١٣٩٢ ، ٢٥ .

(٤) سورة،الحشر ، الآية ٧

(٥) عثمان ،فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضارة ، القاهرة ،دار الكاتب الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦، ١١٧/٣ .

(٦) أبو اسحق الفزاري:هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة ت(١٨٨هـ/٨٠٣م) بالمصيصة إحدى أهم مدن الثغور وهو من اشهر محدثي الثغور، رحل في طلب العلم رحلات طويلة،وهو

وفي سنة (٢١٤هـ/ ٨٣٠ م) جعل المتوكل كورة شمشاط[٢] عشرا ونقلهم من الخراج إلى العشر واخرج لهم بذلك كتابا[٣]، ثم جعل بعد ذلك الثغور عامة عشرية بعد أن كانت خراجية[٤].

وكانت بالس ، والقرى المنسوبة إليها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل (اعذاء عشرية) – العذي ما تسقيه السماء– وقد رتب أبو عبيدة الجراح (٧١هـ / ٦٩١م) ببالس عند الفتح جماعة من المقاتلة واسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين إليها[٥].وعندما توجه مسلمة بن عبد الملك لغزو الروم من جهة الثغور الجزرية وعسكر ببالس واتاه أهلها وأهالي القرى المنسوبة إليها ، وطلبوا من مسلمة أن يحفر لهم نهرا في الفرات يسقي أراضيهم على أن يكون له الثلث من غلاتهم – عدا العشر– الذي كان يأخذه ففعل ذلك وحفر النهر المعروف ب((نهرمسلمة)) ، وقد أوفوا بالشرط. [٦].

الذي أدب أهل الثغر وعلمهم السنة. ابن سعد ،محمد: الطبقات الكبرى ،بيروت: دار صادر ،١٩٥٨م،٤٨٨/٧:ابن النديم ،محمد بن اسحق ،الفهرست،بيروت :دار المعرفة،١٩٧٨م،٣٨١.

(١) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد ، رضوان ،بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٧٨م،١٧٩ .

(٢) شمشاط: وهي من مدن الثغور الجزرية تقع على نهر الفرات من طرف بلاد ارمينية، الحموي، معجم البلدان،٣٦٢/٣.

(٣) الطبري،ابو جعفرمحمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق: محمد الفضل إبراهيم ،القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧، ٥٢/١١ .

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ١٩٢ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ،١٥٧ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ١٥٧؛ للمزيد انظر الخشاب، الدكتور يحيى: ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية بمفتاح العلوم للخوارزمي،المجلة التاريخية المصرية، مج٧ : سنة١٩٥٨ .

٢. الجزية:

فرضت الجزية كما هو معروف على أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم[١]. وقد عدت الجزية ضريبة نظير حماية المسلمين لأهل الذمة وحفظهم لممتلكاتهم ،وعوضا عن الجهاد مع المسلمين الذين يتولون حمايتهم[٢]،وذلك عملا بقوله تعالى "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " [٣]

وقد فرق الماوردي[٤] بين الجزية والخراج في ثلاثة أمور أولها أن الجزية نص وان الخراج اجتهاد والثاني أن اقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد، والخراج اقله وأكثره مقدر بالاجتهاد، الثالث أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام، واستنادا لهذا وبحكم الظروف السياسية والعسكرية والحربية فقد فرض المسلمون الجزية على أهل الذمة.

وقد ذكر البلاذري[٥]،إن طي نزلت- منذ القدم- حاضر قنسرين بعد حرب الفساد التي كانت بينهم ، وعندما ورد أبو عبيدة الجراح عليهم أسلم بعضهم ، وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم اسلموا بعد ذلك بيسير.

وقد حاول المسلمون، استمالة السمامرة والجراجمة[٦] في منطقة الثغور، وصالحهم أبو عبيدة " على أن يكونوا أعوانا للمسلمين، وعيون ومسالح في جبل اللكام وإلا يؤخذ منهم الجزية واستمرت هذه الميزات للجراجمة في العهود الإسلامية المتتابعة رغم اتصالاتهم بالروم " فوجه الوليد بن عبد الملك (٨٦_٩٦هـ /٧٠٥_٧١٥م) إليهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم في خلق فافتتحها، على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ويجري على كل امرئ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالا تهم القوت من القمح والزيت [٧].

---

(١) ابن سلام ،ابوعبيد القاسم : الأموال،تحقيق:محمد عمارة، بيروت، دار الشروق ،١٩٨٩م; الريس،محمد ضياء الدين ،الخراج في الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري،ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٣,١٢٣.

(٢) ياسين،نجمان : تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، الموصل ،دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٨٨,١٢٢.

(٣) سورة التوبة ، الاية ٢٩.

(٤) ابو الحسن علي بن حبيب: الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر،١٩٨٩م ،١٢٦-١٣٠ .

(٥) فتوح البلدان ، ١٥٠-١٥١ .

(٦) الجراجمة: ينسب الجراجمة في تسميتهم الى مدينة الجرجومة الواقعة على جبل اللكام، والذين كانوا يشكلون اقلية بالمنطقة قبل الفتح الاسلامي، البلاذري، فتوح البلدان، ١٦٣

(٧) البلاذري، فتوح البلدان ،١٦٥ ،

وصالح حبيب من مسلمة الفهري أهل الجرجومة ، على جبل اللكام- على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام ، وألا يؤخذوا بالجزية(١).

وفي سنة (١٦٥هـ/ ٧٨١م) غزا هارون الرشيد الروم في خلافة أبيه المهدي، فعقد صلحا مع ملكتهم ايريني ،والذي وقع عليه الصلح بينه وبينهم تسعون أو سبعون ألف دينار يؤديها من نيسان الأول في كل سنة وفي حزيران ... ووجهت معه رسولا إلى المهدي بما بذلت على أن تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة، وكتبوا كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين(٢).

وفي سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، وعلى اثر انتصار الرشيد في هرقلة، بعث نقفور إلى الرشيد بالجزية والخراج عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بيته خمسين ألف دينار – منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس استبراق دينارين- وتسمى هذه الدول التي يعقد معها المسلمون مثل هذه المعاهدات بالدول المستقلة التابعة أو الدول المستقلة التي تدفع الجزية(٣).

٣. الموارد الاقتصادية:

وتشمل الزراعة، والصناعة ،والتجارة . ولقد توافر للثغور والعواصم عدة عوامل أسهمت في ازدهارها الاقتصادي ، وبالتالي فأنها شكلت موردا مهما أسهم في زيادة ارداتها الاقتصادية.

فبالنسبة **للزراعة** ،كانت عاملا مهما من العوامل التي أدت إلى تطور النشاط الاقتصادي للثغور والعواصم،وذلك بعد توفر عوامل قيام الزراعة من تربة خصبة ومناخ ملائم وتوافر مياة الامطار والثلوج والانهار والعيون والابار، فضلا عن خبرات الناس في النشاط الزراعي، ومن أهم المحاصيل الزراعية في الثغور والعواصم هي زراعة الحبوب عامة والحنطة والشعير خاصة ، تلك المحاصيل التي انتشرت في كل مدن الثغور والعواصم انتشارا واسعا وكثيفا ، فلقد عدت المناطق المحيطة بمدينة انطاكية من أشهر المناطق في زراعة الحبوب (الحنطة والشعير) فضلا عن زراعة أشجار الزيتون(٤). كما اشتهرت انطاكية بزراعة النارنج والاترج المدور حتى أنها كانت تزرع في داخل الدور والمساكن(٥). ومن المحاصيل التي اشتهرت بزراعتها مدن الثغور والعواصم أيضا زراعة الزيتون والكمون والبزر والفجل والسمسم والترمس والأرز، فلقد اشتهرت

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨٩-١٩١ .

(٢) الطبري ،تاريخ، ٣٤٧/٩ .

(٣) عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ،١٣٩/٣ .

(٤) ابن العديم، البغية،كمال الدين عمر بن احمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، بيروت، دار الفكر،١٩٨٨ ٨٥/١ وسنشير اليه لاحقا ب "البغية "

(٥) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت ، دار الاندلس، ١٩٨١ ، ٤١٩/١ -٤٢٠.

طرسوس بزراعتها فضلا عن الزبيب الذي لانواة فيه كالقشمش[1]،كما واشتهرت مدينة المصيصة ببساتينها وكثرة مزارعها وكثر أشجار الفواكه فيها[2].

واشتهر حصن التينات بزراعة أشجار الصنوبر التي يستفاد من أخشابها إذ كانت تنقل وتباع في الشام ومصر وبقية مدن الثغور والعواصم وكان فيها مقطع للاشجار[3].

أما عين زربة : فكانت من شدة خصوبة أرضها، وكثرة زرعها، تشبه مدن الغور على حد قول ابن حوقل[4]، وكانت كثيرة النخيل والخصب والسعة من الثمار والزرع ، وعلى ما يبدو أن أعداد النخيل بها كانت كبيرة جدا حتى انه في سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م) وكنوع من التخريب الذي مارسه الروم بالمدينة قاموا بقطع حوالي خمسين ألف نخلة[5]. واشتهرت كيسوم بكثرة مياهها وبساتينها [6] .

أما زبطرة، فكانت تكثر فيها أشجار البلوط . فضلا عن أنها كانت تمتاز بزراعة أراضيها الواسعة[7]. وفي ملطية كانت تكثر أشجار الجوز واللوز والكروم والرمان وسائر الثمار الشتوية والصيفية وهي مباحة لا مالك لها [8].

أما المرقب فكانت ذات أشجار وفواكه . فضلا عن زراعة قصب السكر[9].

وتميزت منبج بكثرة بساتينها وخضرتها ، وكثرت فيها زراعة التوت، من اجل تربية دودة القز[10]، التي يستفاد منها في إنتاج خيوط الحرير الطبيعي .

وأسهمت **الصناعة** في تطوير اقتصاد الثغور والعواصم إذ ظهرت في البدء، تلبية لحاجات تلك المدن أولا ولقد كان لتوفر المواد الخام الأولية ،ورأس المال، واليد العاملة دور مهم في تنوع الصناعة وجودتها.

---

(١) ابن العديم ، البغية ، ١/١٨٠-١٨٢.

(٢) ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي : صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ١٦٧-١٦٨

(٣) الاصطخري، المسالك والممالك ٤٧ ; وللمزيد عن تجارة الأخشاب ينظر: عبيد ،طه خضر: واقع الثروة الخشبية في الدولة العربية الإسلامية (٣-٤هـ/ ٨-١٠م) مجلة دراسات تاريخية ،ع٢، السنة الثالثة، ٢٠٠١م ،٧٥-٩٤.

(٤) صورة الأرض، ١٦٧ .

(٥) مسكوية، ابو علي احمد بن محمد : تجارب الأمم ، مصر، شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٥، ٢/١٩٠ .

(٦) الحموي، معجم البلدان ، ٤/٤٩٧; ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل : تقويم البلدان ، باريس ، دار الطباعة الطباعة السلطانية / د.ت، ٢٣٤ .

(٧) لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤ ، ١٥٤

(٨) ابن حوقل ،صورة الأرض ،١٦٦؛ لسترنج; بلدان الخلافة الشرقية ،١٥٣.

(٩) ابو الفداء ، تقويم البلدان ،٢٥٥ .

(١٠) ابو الفداء، تقويم البلدان ، ٣٧١.

ولقد أكد ابن العديم(١) اشتهار مدن الثغور والعواصم بقيام العديد من الصناعات والحرف والحرف اليدوية التي كانت تعتمد أساسا على الموارد الأولية المتوفرة فيها، ومنها صناعة الحديد المحزوز الذي كان يستخدم في صناعة الكراسي، واللجم، والمهاميز، والعمد، والدبابيس، ولا يخفى ما لهذه الصناعة من أهمية كبيرة في أوقات السلم والحرب.

ولقد اشتهرت مدينة سلوقية بصناعة السيوف السلوقية، وهي سيوف مشهورة جدا عند العرب (٢).ويبدو انه لتوفر المواد الأولية من جهة، واستمرار الحروب، وزيادة الطلب عليها من جهة أخرى ساعد على استمرار هذه الصناعة،خصوصا، وان بلاد الشام قد اشتهرت بوجود معدن الحديد في نواح عديدة قريبة من منطقة الثغور والذي ربما جلب منها مثل حاني في ديار بكر، والواقعة ضمن حدود الثغور والعواصم التي يتوفر فيها بكثرة . (٣) ،ولقد استغل هذا المعدن في صناعة الفؤوس الآلات الزراعية والمسامير وباقي المستلزمات الأخرى.

وقد أشار الطرسوسي(٤)،في كتابه الموسوم المفقود (سير الثغور) إلى وجود العديد من الصناعات في الثغور والعواصم .ففي طر سوس يعمل الورق والكاغد، وهذا يبين لنا مدى التطور الاقتصادي بدليل حاجتها إلى هذه الصناعة وانتشارها واشتهارها بها .فضلا عن صناعة الأسلحة التي كان يصنعها صناع متخصصون يقومون بجلي السيوف والدروع في السوق الخاص ببيع السلاح ، كما، واشتهرت طر سوس بصناعة الأواني الفخارية والمخروطية(٥).

كما وعرفت مدن الثغور والعواصم صناعات أخرى مهمة مثل صناعة الرحى (الطواحين) والتي كانت تستخدم في طحن الحبوب وسقي البساتين والأراضي(٦).

واشتهرت المصيصة بعمل الفراء الذي كان يحمل إلى البلاد الأخرى وربما يبلغ سعر الواحد منها حوالي ثلاثين ديناراً . واشتهرت بعمل عيدان السروج التي يبالغ بثمنها(٧)، وكثرت في في منبج صناعة الحرير الطبيعي وخصوصا أنها أكثرت من تربية دودة القز وأكثرت من زراعة أشجار التوت فيها كما ورد سابقا(٨).

---

(١) البغية ، ١٥٦/١ .

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ ٢٤٢ .

(٣) للمزيد عن المعادن ينظر: عبيد، طه خضر، واقع المعادن المنطرقة في شرق الدولة العربية الإسلامية حتى حتى القرن الثالث للهجرة، مجلة المجمع العلمي العراقي ج٣، مج٥٢، بغداد ، ٢٠٠٥م،٢٤٢-٢٥٥.

(٤) ابن العديم ، البغية، ١/ ١٨١-١٨٢ .

(٥) الذهبي ،شمس الدين بن احمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ،بيروت ،دار الكتاب العربي،١٩٨٩، مجلد حوادث (٣٥١-٣٨٠هـ) / ١٩.

(٦) ابن العديم ، البغية، ٨٦/١ .

(٧)ابن العديم،البغية ١/ ١٥٥-١٥٦ .

(٨) ابو الفداء، تقويم البلدان، ٣٧١ .

أما **التجارة** ، فقد نشطت واتسعت في مدن الثغور والعواصم نتيجة لتطور الإنتاج الزراعي والصناعة فيها، وظهر فائض في الإنتاج مع وجود الأسواق وانتشارها .وتتسم المنطقة بموقع حساس على طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب عموماً وعلى طريق التجارة المحلية بين العراق وبلاد الشام واسيا الصغرى ومصر وغيرها[١]، وقد ارتبطت هذه الجهات بشبكة من المسالك والطرق يسرت اتصالها بما حولها وهيأت لها دورا تجاريا كبيرا[٢].

وهناك مدن ازدهرت وأصبحت أنموذجا لمراكز التبادل التجاري مع الروم البيزنطين مثل مدينة طرابزون[٣]، حيث تعد هذه المدينة المدخل إلى بلاد الروم، ومنها يدخل التجار المسلمون إلى بلاد الروم للتجارة ومنها يخرجون أيضا[٤] ، وكان لها أسواق مفتوحة طول أيام السنة ، ويأتي اليها الكثير من التجار سواء من المسلمين أو الروم أو الأرمن وغيرهم[٥]،وبذلك أصبحت هي المنفذ المهم لدخول التجارة العربية الإسلامية وخروجها في بيزنطة واليها ، حيث كانت تجارتها تمر بالثغور.

ومن المراكز التجارية المهمة الأخرى مدينة مرعش التي كانت ومنذ أقدم العصور واحدة من أهم المراكز التجارية المهمة على أطراف بلاد الشام [٦].

أما طر سوس فقد اشتهرت بأنه كان فيها رخص عام في الأسعار على مدى أيام السنة، ولهذا السبب كانت أسواقها تعج بالناس والتجارة دائما[٧]، فادى ذلك إلى انتشار الفنادق والحمامات والخانات مثل فندق بغا والفندق الجديد [٨]،وهذا يشهد للمدينة بغناها التجاري والاقتصادي ورواج التجارة فيها.

إن هذا الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به الثغور والعواصم ، قد زاد من حيوية ونشاط الحياة الاقتصادية ووفر موارد ثانية لبيت المال . ولاسيما وان نفقات الثغر كانت تفوق وارداتها .

---

(١) عثمان ،الحدود الإسلامية البيزنطية ، ١٩٢/٣ ،

Sivers, p.v , " Taxes and Ttrade in the a bba sids thaghur 750 -962/ 33-351 " Journal of the Economic and Social History of the Orient (25) , 1982 ,p24 .

(2)Sivers, op. cit p24.

(٣) عبيد، طه خضر تجارة العرب المسلمين الى طرابزندة في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مجلة المورد العدد ٤ لسنة ٢٠٠٢، ١٦_١٩.

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض، ١٧٩.

(٥) المسعودي، مروج الذهب ، ١٩٨/١-١٩٩.

(٦) الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية، ١٦٩ .

(٧) ابن العديم ، البغية، ١٧٩/١ .

(٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ،١٦٩؛ ابن العديم ، البغية، ١٧٧/١.

٤. العشور :

وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض وتجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام[١]. والقاعدة المتبعة تقضي بان يدفع المسلم ربع العشر والذمي نصفه ويدفع القادم في ارض الحرب عشرا كاملا[٢].

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : " إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر" فكتب اليه عمر "خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من اهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين عن كل أربعين درهما – درهما – وليس فيما دون المائتين شيء، وكتب أهل منبج الى عمر – رضي الله عنه – " دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا " فشاور عمر أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – فأشاروا عليه ، فكان أهل منبج[٣] أول من عشر من أهل الحرب[٤].

ومهما يكن أمر، فان ضريبة الإعشار لم تكن الضريبة الوحيدة التي تؤخذ من التجار، فقد كانت هناك المكوس على البضائع ، الصادرة والواردة والتي تؤخذ على الحدود بين الشام والروم ، وكثير ما كان الروم –إذا قويت شوكتهم في الشام– يقيمون في حلب رجل منهم لأخذ مكس البضائع[٥].

٥. الغنائم :

أذن الله تعالى للمسلمين بقتال المشركين في قوله تعالى :" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ 39 الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ "[٦]

وعد هذا الأمر جهادا في سبيل الله، ومع تتابع الحملات العسكرية على بلاد الروم فكانت تصيب أحيانا غنائم كبيرة.

---

(١) الريس، ضياء الدين، الخراج في الدولة الإسلامية ، ١٢٣.

(٢) أبو يوسف ، الخراج،١٤٥; اليوزبكي ، توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الإسلامية ،ط٢، الموصل ،١٩٨٨م ،١٤٠–١٤١.

(٣) منبج : مدينة تقع في الأطراف الشرقية والجنوبية الشرقية لإقليم الثغور ، وتتاخم حدود الشام والجزيرة الفراتية، وهي مدينة حسنة البناء صحيحة الهواء وكثيرة المياه والأشجار، البلاذري، فتوح البلدان ،١٣٨.

(٤) أبو يوسف ، الخراج، ١٤٥–١٤٦ .

(٥) أبو يوسف ، الخراج، ١٢٩–١٣٤ .

(٦) سورة الحج، الاية ٣٩–٤٠ .

وكانت الغنائم مقسمة إلى فيء وغنيمة، أما الفيء فهي كل ما وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب[١]. أما الغنيمة فهي ما حصل عليه المسلمون عنوة وقهرا[٢]. ولقد شكلت غنائم الحرب موردا مهما في موارد بيت المال ،وذلك لتتابع الحملات على بلاد الروم ، حيث كانت تصيب غنائم كبيرة[٣].

وعلى اثر غزوة المعتصم لعمورية سنة (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) اقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه حتى امتلأ المعسكر[٤].

وفي سنة (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) غزا يازمان الصائفة وتوغل في ارض الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس[٥].

وفي سنة (٢٩١هـ/٩٠٤م) نهض جيش من طرسوس، فقاتلوا الروم حتى مدينة انطاكية " فاقتحموها عنوة" وقتلوا بها من الروم خمسة آلاف " وغنموا غنيمة لم يعد مثلها بحيث بلغ سهم الفارس ألف دينار " [٦].

وفي سنة (٣١٥هـ/٩٢٧م) خرجت سرية من طرسوس إلى بلاد الروم فاشتبكوا معها " فاستظهر الروم واسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبرا"[٧]، لذلك خرج إليهم ثمل الخادم من طرسوس في السنة نفسها ، وعاد في ذي القعدة سالما هو ومن معه فلقوا جما كبيرا من الروم فاقتتلوا ، فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيرا، وغنموا ما لا يحصى ، وقيل انه في جملة ما غنموا أنهم ذبحوا من الغنم في بلاد الروم ثلاثمائة ألف رأس سوى ما سلم معهم كذلك لقيهم رجل من رؤساء الأكراد كان قد ارتد عن الإسلام ، واتصل بملك الروم، الذي أجزل له العطاء وأمره بالعودة إلى حصنه " [٨]. أي حصن الأكراد.

٦. الصدقات :

يجد بعض الباحثين أصولا للصدقات في الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية وأنها كانت تجمع من قبل رجال الدين لتدفع للمساكين ، وان العرب قبل الإسلام كانت تقدم الصدقات

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ،١٢٦ .

(٢) الماوردي ،الأحكام السلطانية، ١٣٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٩/ ٣٤٧ .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ١٠/٩٩-٣٤٢ .

(٥) ابن العديم ، الزبدة، ٨٢/١ .

(٦) القرطبي ،عريب بن سعد، صلة تاريخ الطبري معلومات كاملة .ص.ت .

(٧) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، بيروت، دار الفكر ، ١٩٧٨م،١٨٩/٦ .

(٨) ابن الأثير، الكامل ، ٦/ ١٨٩-١٩٠ .

للآلهة[١]، على حين يرجع فيليب حتي [٢]جذورها إلى مبدأ العشر الذي كان تجار العرب يؤدونه للآلهة قبل بيع طيوبهم .

وعندما جاء الإسلام أقر الصدقات من منطلق، أن للفقراء حق في أموال الأغنياء وقد ذكرت الزكاة في أكثر من آية ، فقد قال تعالى : "الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ "[٣] وقوله تعالى : "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ[٤]".

وذكر الاصطخري[٥]. وابن حوقل[٦]. انه : (ليس من مدينة عظيمة من حد سجستان وكرمان الى مصر والمغرب الا وبطرسوس لاهلا دار ينزل بها غزاة تلك البلدة ، ويرابطون بها إذا وردوها، وتكثر لديهم الصلات ، وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجسيمة إلى ماكان السلاطين يتكلفونه وأرباب النعم وينفذونه متطوعين متبرعين ".

وبما أن منطقة الثغور والعواصم هي في نطاق الجهاد في سبيل الله ، فقد أدركت السيدة زبيدة[٧] هذا الأمر ، وقامت ببناء دار ضيافة في بغراس لا يضاهيها أي دار في الشام كلها ، وكانت مهمة هذه الدار استقبال المسافرين من المجاهدين أو طلاب العلم ،الذين يقصدون الثغور والعواصم . هذا فضلا عن بنائها عدداً من دور السبيل في الثغر الشامي وطرسوس[٨].

وعلى الصعيد ذاته كان هنالك في طرسوس داران كبيرتان أوقفتهما أم الخلفاء العباسيين للمجاهدين في سبيل الله من الذين يفدون إلى المدينة وهما ، دار أم الخليفة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٨ م) [٩] والتي تقع في شارع باب الصفصاف وتتألف من حجر مغروزة ، وتتألف كل حجرة من بيتين ومرفق تسع لسكن مائة وخمسين شخصا ، كما احتوت الدار على

(١) د. عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية ، المكتبة الانجلو المصرية ،ط٢، القاهرة ، ١٩٦٧، ١/ ١٣٤.

(٢) فيليب حتي: تاريخ العرب –مطول– دار الكشاف ط ع ، بيروت ، ١٩٦٥، ١٨٢ .

(٣) سورة فصلت، الآية ٧ .

(٤) سورة النحل ، الآية ٣.

(٥) المسالك والممالك، ٤٧

(٦) صورة الأرض ، ١٦٧

(٧) زبيدة بنت جعفر الهاشمية العباسية ، زوجة هارون الرشيد وام الخليفة محمد الأمين والمتوفية سنة (٢١٦هـ،٨٣١) ، الزركلي ، خير الدين، قاموس تراجم الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩، ٤٢/٣ / (٢١٦هـ/ ٨٣١) .

(٨) ابن العديم ، البغية ١٥١/١ .

(٩) أم الخليفة المعتز تدعى قبيحة ولدت سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : تاريخ الخلفاء ، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ،١٩٥٢م،٣٥٩-٣٠٦ .

خزانة كبيرة للسلاح تستخدم في أيام الحروب وفي الأعياد وعند مجيء الرسل من عند الروم البيزنطين[١].

كما قامت السيدة أم الخليفة المقتدر[٢] (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) ببناء دار كبيرة للمجاهدين تقع عند نهاية شارع النجارين وكانت اكبر وأشهر دار في منطقة الثغور الشامية ، وكان يركب منها عند الغزو مائة وخمسون غلاما، ونظرا لكبر هذه الدار وكثرة مافيها من السلاح ، فقد كان يرسمها " صناع معروفون من أهل سوق السلاح لتدبير جوانبها ورم شعث سلاحها وجلاء دروعها في كل سنة مرة او مرتين[٣].

إن هذا التصرف من قبل زوجات وأمهات الخلفاء ويظهر مدى إدراكهن لأهمية الجهاد في الثغور والعواصم ، ويعكس رغبتهن في كسب الأجر والثواب من تجهيز هؤلاء المجاهدين في سبيل الله من خلال تقديم الصدقات والأعمال الخيرية.

هذا بالنسبة لإيرادات الثغور والعواصم ولم تكن تنتظر من هذه الإيرادات أن تغطي مطالبها الحربية الباهضة ومن هنا كانت تمد بأموال العاصمة ، حيث يؤكد قدامه ارتفاع مصروفاتها :" وارتفاع الثغور الشامية نحو المائة الف دينار" حيث كان ينفق في مصالحها وسائر وجوه شانها مثل المراقب والحرس والفواثير والركاضة والموكلين بالدروب والمخايض والحصون[٤].

ثالثا. النفقات :

تعددت أوجه نفقات الدولة في منطقة الثغور والعواصم ، وعكست اهتمامهم وما تتطلبها طبيعة المنطقة في كونها متاخمة لحدود الأعداء التقليدين للخلافة العباسية ، وكان من الطبيعي أن يكون للجانب العسكري الحيز الأكبر من تلك النفقات ، وذلك حرصا على سلامة حدودها المتاخمة لدولة الروم البيزنطيين العدو التقليدي للخلافة العباسية، واهم النفقات هي:-

أ. النفقات العسكرية :

حظيت الثغور البرية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي باهتمام بالغ من الخلفاء العباسين ، وحرصوا على وضع خطة سياسية للدفاع عنها لتبقى قوية بوجه الأخطار البيزنطية، وكان التحصين للحزام الأمامي للمدن التي امتدت في أعلى الفرات " ملطية" حتى طرسوس" على

---

(١) ابن العديم ، البغية ، ١/١٨٣ .

(٢) أم الخليفة المقتدر ، قيل أنها تركية ، اسمها غريب وقيل شغب ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ،٣٧٨ .

(٣) ابن العديم ، البغية ، ١/١٨٢ .

(٤) قدامة ، الخراج ،٤٥٣ وللمزيد ينظر عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، ٣/١٥٠ .

البحر المتوسط جزءا من هذه الخطة وأقام الخلفاء مدنا محصنة مثل ملطية وطرسوس وأذنه وإنطاكية... الخ من المدن الثغرية"[١].

ب. العطاء :

استدعى بناء مدن الثغور وتحصينها وشحنها بالمقاتلة نفقات طائلة ، كما كان الخلفاء ينفقون في ذلك عن سخاء ويزيدون من عطاء الجند من اجل استقرارهم في تلك المدن، ولقد كان لتلك السياسة اثر واضح وكبير في استقرار وانتقال أعداد كبيرة من المقاتلين حيث نقلوا معهم عوائلهم (أطفالهم ونساءهم) واستقروا في الإقليم [٢].

فعندما تولى الخلافة أبو العباس السفاح(١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م) ، أمر بنقل أربعمائة مقاتل من العرب المسلمين الى مدينة المصيصة[٣] . ومن الطبيعي أن هذا الأجراء يستلزم توفير العطاء لهم ولعوائلهم.

أما سكان طرسوس نجد انه توجهت إليها مجموعتان من السكان في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م) الأولى حوالي ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان ، والمجموعة الثانية حوالي الفين، وشجعهم على الإقامة لها ، وذلك عن طريق زيادة عطاءهم بـ " زيادة عشرة دنانير لكل رجل من أصل عطائه"[٤].

وبعد إعادة بناء الحدث في عهد المهدي (١٥٨-١٦٩م/ ٧٧٥-٧٨٥م) ، فرض علي بن سليمان أمير الجزيرة وقنسرين، (العطاء) لأربعة آلاف مقاتل وأسكنهم إياها[٥].

وبعد أن توفي المهدي خلفه ابنه موسى الهادي الذي ولى محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي أميرا على الجزيرة وقنسرين، ومن باب تشجيع الناس على سكن الحدث " فرض لها قرضان، من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين دينار من العطاء واقطعهم المساكن وأعطى كل امرئ ثلاثة مئة درهم[٦].

---

(١) للمزيد عن تحصين المدن الثغرية ينظر :عبيد ، طه خضر : تحصين المدن الثغرية البرية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الأول ١٣٢-٢١٨هـ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج ١٨، العدد الأول ، ٢٠٠٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ١٥٤ .

(٣) قدامة، الخراج، ٣٠٨ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ١٧٢ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ١٩٣، ١٩٤ .

(٦) البلاذري ،فتوح البلدان ،١٧٣ ، وللمزيد ينظر: الجنزوري، الثغور البرية ، ١٦٠ .

وفي ملطية أقدمت الخلافة العباسية على إجراءات عديدة من اجل تشجيع الناس على الاستقرار فيها من خلال زيادة العطاء ، عشرة دنانير لكل رجل ، وتقديم معونة قدرها مئة دينار لبناء مسكن للمقاتل بنفسه[١].

وفي سنة(١٩٤هـ /٨٠٩م) بنى أبو سليم فرج الخادم آذنه واحكم بناءها وحصنها وندب إليها رجالا من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء[٢].

وقام الروم البيزنطيون في عهد قسطنطين بن اليون (١٦٤-١٨١هـ / ٧٨٠-٧٩٧م) بمحاصرة مرعش وتخريبها وحمل أهلها على الجلاء منها نحو الجزيرة وجند قنسرين هم وعيالهم ، فقام مروان بن محمد ، بإعادة بنائها بعد انتهائه في محاربة أهل حمص[٣]، لكن البيزنطيين عادوا فخربوا المدينة من جديد لذلك أعاد الخليفة أبو جعفر المنصور بناءها على يد صالح بن علي وحصنها وندب الناس إليها على زيادة العطاء[٤].

وفرض محمد بن إبراهيم والي الجزيرة وقنسرين في أيام الهادي- للحدث فرضا من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين دينارا من العطاء واقطعهم المساكن وأعطى كل امرئ ثلاثمائة درهم[٥].

الخاتمة :

١. يشير قدامة[٦] إلى ملاحظة مهمة جدا، وهي أن مقدار الدخل بالنسبة للثغور الشامية كان يصل إلى حوالي (مائة ألف دينار) ، في حين كانت النفقات تصل إلى حوالي (مائتي ألف دينار) وأحياناً (ثلاثمائة ألف دينار) ،أما الجزرية فدخلها حوالي (سبعون ألف دينار) ،ونفقاتها حوالي (مائة وعشرون ألف دينار)، وأحيانا (مائة وسبعون ألف دينار). وان هذا يعود إلى استعدادها الدائم لمواجهة العدو في أي لحظة سواء في الداخل عن طريق بناء الحصون، وشحنها بالجند أو تزويدهم بالسلاح والمؤن الكافية، أو في الخارج عن طريق إرسال حملات الاستطلاع والجواسيس (الصوائف والشواتي).

---

(١) قدامة ، الخراج ، ٣٠١

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١٧٣ ، ابن العديم ، البغية ، ١/ ١٦٩ .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ،١٧٥; الحموي، معجم البلدان ،٤٨٥/٤.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ،١٩٣،ابن العديم ،البغية ١/٢٣٦، الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار العلم للطباعة والنشر، ١٩٧٥م٥٤٣ .

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ١٦٠، ١٧٣.

(٦) الخراج، ٢٥٣-٢٥٥ ؛ فازلييف :العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة فؤاد حسنين علي، بروكسل دار الفكر العربي، ١٩٣٤م، ٩٠-٩١.

٢. إن التجارة والزراعة، تمثل الجانب الأكبر في اعتماد أهالي هذه الثغور عليها في حين إن الصناعة لم تكن إلا عبارة عن صناعات حرفية بسيطة.

٣. إن الثغور والعواصم كانت تعتمد على نفسها في سد حاجاتها من الزراعة، والصناعة والتجارة وكانت تسهم– وبشكل ايجابي –في سد نفقاتها.